من أسرار التقديم
فى القرآن الكريم

إعداد

الأستاذ الدكتور/ صباح دراز

تقديم المسند والظرف

والمسند المقدم كثيراً مايكون شبه جمله، ولذا جعلناهما فى قرن واحد.

والحق أن لشبه الجملة المقدم شأنا فى القرآن فى كثير من الأساليب، تجده مركز العبارة يشدها اليه ويوحى بفيض من الظلال المتلاحقة المتداعية وقد أثرنا تقديم هذا الفصل تحت أغراض عامة :

ومع أن بعضا منها قد يتكرر فى أنواع من التقديم نرى أن اختلاف الأساليب سعه أفقية وكثرة مفيدة فيما نعالج من ناحية والتزاما بمنهج علمى محدد يقضى هذا التنويع ولفتا الى إعجاز الصياغة فى هذا القرآن المجيد.

«إن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض لآيات».

«إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم ومايبث من دابة لآيات».

«وإن لكم فى الانعام لعبرة» ، وفى سورة الشعراء تكررت هذه الآيات اللازمة تعقيباً على قصة من قصص الأنبياء وما فيها من صراع بين الحق والباطل: وانتصار الحق «إن فى ذلك لآية» .

وقد قدمت اللافته (من آياته) وتكررت فى سورة الروم- والله أعلم- لأن سورة الروم بدأت بآية هى الإخبار بغيب قريب هو انتصار

الروم على الفـــرس فى بضع سنين، بنيت الســـورة على تلك لآية «وغلبت الروم» وانتظمت الآيات موقظة للفكر والوعى أو لم يتفكروا فى أنفسهم :

« أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا »

«وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا »

فالنسق واحد فى التلاؤم ولذا جاء نفس النسق فى الآية ٤٦ فى أواخر السورة "ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات.

أما آية البقرة:«إن فى خلق السموات والأرض ... . فقد سبقت بآية «وإلهكم اله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم» وخلق الكون وتعاقب الليل والنهار وتسخير الفلك فى البحار بقوانين الطفو. وماء السماء واختلاف الرياح ومساراتها كل ذلك من فيض الرحمة وقدره وسطوة الرحمانية ولذا أطال فيما سخر بالقدرة.

وفى آية آل عمران «إن فى خلق السموات والأرض .....

سبقت بآية القدرة «ولله ملك السموات والأرض والله علي كل شئ قدير » .

ولم تفـصل بفـاصل لان خلق الســموات والأرض وتعـاقب الجديدين لدوران الأرض مظهر من مظاهر القدرة، ولذلك لما قدم العزة والحكمة فى سورة اتبعها بما هو مجلى العزة والحكمة: تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم أن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين - والله أعلم.

من الأغراض:

١- اثارة التأمل والعبرة بتوجيه طاقات النفس البشرية عقلية ونفسية الى التعمق فى آثار القدرة ومظاهرها ومشاهد الرحمة والنعمة زادا من الحب والايمان.

والمسند هنا المجرور قد يكون لمحة فى لفظه وقد يطول ناظما شتى المشاهد الكونيه فى لوحة فريدة ورحله خيال شائقة ، مثيرا ضروب التنبه والشوق النفسى الى المسند اليه المؤخر حتى تقر النفس ويسكن التوتر وتتمثل العظة والمتعة.

قال تعالى من سورة الروم:

«ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون..

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها..

«ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم..

« ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ..

« ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها .. ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره...

والمسند المقدم له صياغة لافته (من آياته) والمسند اليه أكثر إثارة وهى آيات تقدم قصة الحياة فى تسلسل بداء من الخلق من التراب إلى الفناء الكامل للكون وبينهما آيات لاستمرار الحياة

فهناك جمع وخلق من تراب ثم بشرية مبثوثة بهذا التقابل العجيب، وايجاد - الحياة الزوجية مصنع الحياة ومنبع الأمن والأمان، وخلق الكون وتباين القسمات واللغات والألوان.

متحف بشرى عجيب كما يقول العقاد، ثم النوم والحركة والبرق ونزول الماء حياة لكل كائن حى ثم قيام بأمره للبعث؛ والاداء الأسلوبى مبنى على التقديم وتكرار الآيات لفظاً ومدلولا وهى بلفظها تقديم مثير للمشاهد شاغله كل عقل عليم وكل قلب مؤمن، واضافة الآيات الى ضمير الله يوحى الحصر فهى أثر قدرته وبعض آياته لا آيات سواه تقديساً وتعظيماً وجلالاً ومنه: «وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام» «ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام».

وقد نجد ضرباً من التفتن فى اثارة كوامن التأمل فى أساليب قدم فيها المشهد وأخر فيها لفظ آيات قال تعالى:

« إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب».

التكريم وزف البشرى والترغيب :

غالباً مايقدم المؤمنون أو ضميرهم مدخولاً للام الاستحقاق[1] مسنداً على الجزاء الكريم تبشيرا ورضا وحنوا وترغيباً قال تعالى:

---

(١) راجع الشهاب ٢/٦٥.

وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار - ولهم فيها أزواج مطهره، - أن للمتقين مفازا حدائق وأعناباً... ومنه « أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم- «وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى» وقد تلحظ فى هذا التقديم سبب الجزاء والتمهيد له اذا كان المجرور اسماً ظاهراً نحو المتقين، أو آمنوا أو أحسنوا وإذا كان ضميراً.

قدم على الاسلوب مايشير الى الجزاء ويمهد له : نحو: وبشر «وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات» قال تعالى: «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة».

وقد تكرر هذا التعبير الفخم تعقيباً على أعمال المؤمنين: «فلهم أجرهم عند ربهم» فله أجره عند ربه «وأساليب هذا اللون تبث مشاعر الهناءة وإلا من والشوق والرضا وهو يفيض على النفس قوة تحركها الى العمل والتحمس له فتصبح الحياة حافلة مليئة[1] وفى المقابل: نجد تقديم العصاة مجروراً مسنداً قبل سيئ الجزاء عنفاً ورهبه وتحس كأن الاسلوب يلطمهم ويفجؤهم ويزلزل أعماقهم : «لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش - والاسلوب غالباً ماينقلهم الى الآخرة ويخبر عن واقع معيش وبعدد الجزاء الرعيب يسوقه مساق الجزاء الطيب ويستعمل بعض ألفاظه تحسيراً وتهكماً وقال تعالى:

«لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل» وعن شجرة الزقوم «ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم».

---

(١) راجع القرآن وعلم النفس/ عبد الوهاب حموده ٧٠.

وقد يكون فى المقدم سبب الغضب والعذاب مسنداً أو متعلقاً: قال تعالى:« مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً - فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم- وقد يكون فى الاسلوب قصر على هذا السبب دون سواء.

والاسراع بالعقاب قد يكون حكماً وقضاء فى الدنيا ترهيباً وجزاء وفاقاً «ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً.

وفى السامرى وقد قضى عليه موسى النبى: «إن لك فى الحياة أن تقول لا مساس » «وان لك موعداً لن تخلفه» «وقد قدم أو لا ضميره ثم ظرف الجزاء الغريب وهو بقية حياته جبها له وتحسيراً ودائما فى أساليب المجازاه بالشر ترتفع حرارة الكلمات وتعلو النبرة الغاضبة تمسك بالأنفاس تقدم أهل الجزاء كشفا لهم على مسرح الخيال ثم تتوارد عليهم ضروب العقاب فى موجات يبلغ التأثير بها مداه ، وأظن أن كلمات الاهتمام والعناية عن التنوخى وأبى حيان والتناسب عند ابن الاثير ولاسبب عند ابراهيم أنيس لاتغنى فى هذه المقامات المتحفزة شيئاً والخوف عامل قوى، كاف له أثر كبير فى التربية والتأديب وهو الاساس لغريزة التدين التى تقود السلوك الانسانى وتنظمه[1].

---

(١) المرجع ٧.

المنة والتكويم :

وهنا يقدم المجرور فى مواقف القرب أو التشريع ويجعل المقدم محوراً لذلك وكأن له مدخلاً فيه وتسبباً :

وفى خطابات النبى صلى الله عليه وسلم مما قدم فيه ضميره نحو «وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة - ولقد أنزلنا إليك آيات بينات» «نزل عليك الكتاب بالحق» «مما تحس فيه القرب والرحمة وتمام النعمة بأعظم نعمه وهو القرآن العظيم وقد يشترك المؤمنون فى هذا التكريم : حثا على الفكر والعمل . «ولقد أنزلنا إليك آيات بينات- قد بينا لكم الآيات.

وقد نلمح فى خطاب النبى المقدم فيه ضميره عتاباً رقيقاً لفتا حانياً حين حزن النبى على الشهداء فى أحد وقنت على المشركين شهراً فقال القرآن الكريم «ليس لك من الأمر شئ» «تفويضاً للخالق وتسليماً لامره وقد يعنف الخطاب تعريضاً وأن يلملم رغبات فؤاده عن قضية الهداية فهى لله ، ويكون الاسلوب تهديداً للمعرضين» ليس عليك هداهم- لست عليهم بمسيطر».

وفى المن على المؤمنين عناية ورعاية واغاثة قوله تعالى: «ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنه نعاسا » وقد جسم النعاس لبيان خطره وجليل نعمته فى غزوة أحد وقد ابتلوا وزلزلوا » وفى تقديم الظرف نلحظ التسبب فلولاهم ماكان الحدث كالمن بنعمة الرسالة المحمدية:

«اذ بعث فيهم رسولاً منهم- وأرسلناك للناس رسولاً » فمن أجل البشر كان الاسلام فهو أكبر نعمة يشكر عليها .

ومنه فى تفضيل نعم الدنيا : وقد يصحبها مصدر النعمة أو مجالها .

قال تعالى: «والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون» فالتقديم هنا فى ثلاثة مواطن وعن نعمة الماء وأثرها : فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون» وفى نعيم الجنة: لكن فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون» والتقديم مسارعة بالبشرى ووضعا للأيدى على النهم تعريفاً ومنا وتصويراً لها ولبالغ أثرها دفعا الى الشكر.

واذا كان بمكن الحصر فى آية الجنة لأن الأكل محصور فيها فليس واضحاً فى غيرها الا على طريق الحصر الاضافى عند الزمخشرى[1] .

والواقع أن السياق لايعين[2] كهذه الآية من النعم: «وعلامات وبالنجم هم يهتدون» والالتفات فى الأسلوب والتقديم جعل الزمخشرى وتبعه غيره على القول بأن فى التركيب حصرين كأنه قيل:

---

(١) الكشاف ٢/٤٠٤ والشهاب ٥/٣٢٠.

(٢) دلالات التركيب د. محمد أبو موسى ١٩٠.

بالنجم خصوصاً هم يهتدون، أراد قريشا فى أسفارهما وكان لهم علم بالنجوم لم يكن لغيرهم فكان الشكر ألزم وأوجب[١] والآيات تذكر تسعا من نعم الله على الانسان فى عموم يناسبه السياق منها ماهو تسخير كونى أو فى الأرض: وتحول الخطاب بتحول الضمير غائباً لأن ترتيب النعم حسب الاهمية وجاءت هذه النعمة فى نهاية النعم، ولما ذكر الاهتداء عاماً بالليل والنهار وللناس فى قوله: «وسبلاً لعلكم تهتدون وعلامات» خص نعمة اشتهر به العرب وهو الاهتمام بالنجوم وذلك خاص بالليل وبالاسفار غالبا واذا كان من الممكن التخصيص فى تقديم الضمير لذلك ، فان تقديم النجم لاهميته وخطره كما رأى أبو حيان[٢] لا للحصر الاضافى إذا الاهتداء يمكن بغيره قطعاً كالسبيل والعلامات التى تقدمت فى السياق، وليس مايدعو الى التجوز والمبالغة لانه يقرر نعماً وحقائق .

وحصر الاهتداء فى النجم يعنى عدم الاعتداء بسواه وهو متناقض لذكر هذا المقابل.

ومن التقديم لعلاج شئون الحياة ايجازاً فى قصتها وتحديداً للبدء والمنتهي تفجيراً لقوى التأثر والاعتبار.

قال تعالى عن الأرض: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى» - فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون »

---

(١) الكشاف ٢/٤٠٥ .

(٢) البحر ٥/٤٨١.

وسطوة الاسلوب ساطعة وجلال القدرة وعظمة القدير يتوهج بها التركيب والقصر واضح فى التقديم وقال تعالى: «فى قصة آدم وأبليس» «اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين» وغرض التقديم عند السكاكى والقزوينى ومن تبعهم: فى الظرف «لكم» التنبيه على أنه خبر لاصفة» وهذا شئ يقال فى التأويل النحوى بعيداً عن البلاغة القرآنية(١).

ذلك أن الاستقرار والمتاع الى الموت، وقيام الساعة ، وتحديد مكان الهبوط لآدم وزوجه ، وابليس أمور جد خطيرة تشغل بالهم وعليها تدور حياتهم ومستقبلهم.

فكان التقديم: «لكم» بما فيه من خطاب جاريا على التلاؤم النفس ثم تلاها الظرف : «فى الأرض» ، تحديداً لمجال الهبوط، واثارة التطلع الي الحكم الالهى تمكينا فى الوجدان» مستقر ومتاع الى حين» وهذا المجال جاء فى قوله تعالى: انى جاعل فى الأرض خليفة: لأن الخطاب للملائكة وكان هاما هذا الكوكب الذى اختارته الاقدار ثم جاء النسق بعد ذلك: فى خطاب آدم وابليس «اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين دقة معجزة».

---

(١) المفتاح ١١٩ بغية الايضاح ٢١٣/١.

كما جاء التقديم: فى مقامات التشريع لانه يدور حول المقدم: قال تعالى: كتب عليكم الصيام - أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم».

ولكم فى القصاص حياة - ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً» فى آية الحج ألوان من التوكيد والتشديد وأنه واجب وحق فى رقاب الناس لاينفكون عن أدائه والخروج من عهدته كما قال الكشاف[1].

وفى مواقف التضرع والابتهال: قال تعالى: ربنا اغفر لنا ذنوبنا - هب لنا من لدنك رحمة - رب اجعل لى آية - رب هب لى من لدنك ولياً».

كما جاء التقديم تحديداً وحسماً فى مواطن الجزاء «لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت - تلك أمة قد خلت لها ماكسبت ولكم ماكسبتم - لنا أعمالنا ولكم أعمالكم - لكم دينكم ولى دين- والمقام هنا يستدعى القصر مجازاة حاسمة رغباً ورهباً ومثله: لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً» وتقديم المجرور هنا للاختصاص كشفا للموقف، وتمثيلاً له فى الخاطر مسارعة الى الخير والتملص مو موقف تنكس فيه الرؤس وفيه تقدير وتعظيم للنبى صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الكشاف ٤٤٨/١.

وقد يتقدم الظرف لانه منبع الاثارة والتصوير والقوة تلاؤما مع السياق قال الله :«كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً» «سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب» «عضوا عليكم الأنامل من الغيظ» «لايكفون عن وجوههم النار» «ورفعنا فوقكم الطور» «واتخذتموه وراءكم ظهريا» «وهم من فزع يومئذ آمنون» أو يقدم لانه مصدر الرضا أو مناط الغضب «فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة» «الذين هم فى صلاتهم خاشعون» «ووصينا الانسان بوالديه حسنا» وفى جانب الغضب يقدم مايكون سبباً للخير والاقبال لا الاعراض والنفور تبكيتا.

قال تعالى: « واتخذوا من دون الله آلهة - وجعلوا لله شركاء الجن - وهم بذكر الرحمن هم كافرون - ولاتشتروا بآياتى ثمنا قليلاً» وتوتر الاسلوب جاء مما يشبه المقابلة من وجود الشر والكفر بعد ماهو سبب الايمان. تعجيباً وتشهيراً.

وانظر كيف يشع التقديم جملة من الانفعالات الموارة: « فأوجس فى نفسه خيفه موسى» قدم النفس لأنها أصبحت وعاء لمشاعر الخوف والحذر الحبيسة المهاجمة- وقول امرأة العزيز- ماجزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم «فاللفظ» مقدم: ليصور تقلب المرأة بعد شهوة محرقة وسيطرتها على عاطفتها فأظهرت قناع التدلل والتحبب ومشاعر الانوثة الوردية الملتزمة، ولذكائها وخوفها على من

تحب: أطلقت كلمة (سوء) واقترحت سجنا أو عقابا جزاء على تمنعه أولاً وخوفا من الموت عليه والفقد».

وقد يتقدم الزمان: لانه مدار الشعور قال تعالى: «أئذامتنا وكنا ترابا ذلك حشر بعيد» فالظرف يشئ باستغرابهم وانكارهم وتعجبهم من البعث . وقال تعالى: «لولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا «والآية ضمن آيات من أشد ما فى القرآن على من أطلق لسانه فى حادث الأفك.

وقد تتجاوز المجرورات لترسم جو الضيق والنكد والاضطراب الوجدانى: فسيدنا لوط يصرخ من أعماقه فى قومه وقد هموا بضيوفه الملائكة وارهقوه جدلا » «لو أن لى بكم قوة» «وكفار الامم يتضاغون فى جهنم فى يأس حانق : « وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب» والملأ من قومه ضاقوا به وبجداله «مانرى لكم علينا من فضل » كما يكون فى التقديم تحديد المكان أو الجنسية أو مصدر الآثار والخوف قال تعالى: وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى».

تصويراً لاهتمامه وعنائه وخوفاً على موسى، وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه » قالوا أنه قدم من آل فرعون لانه لو تأخر لظن أنه صلة يكتم إيمانه ولايدل على جنسيته والواقع أن ترتيب الصفات فى الآية ترتيب طبيعى فقدم الوصف المفرد - مؤمن - ثم

شبه الجملة - من آل فرعون - ثم الجملة - يكتم ايمانه - فالآية خارجة من دائرة التقديم الذى نحن فيه ، وقال تعالى: عن سيدنا ابراهيم والملائكة الذين لم يأكلوا «فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف - وعن موسى «فخرج منها خائفا يترقب» وهكذا وجدنا تقديم الظرف- والظرف يعنى شبه الجملة مطلقا- والمسند يترجم عن سبيل عن المعانى والانفعالات والايحاءات التى تعجز الالفاظ عن التعبير المحيط عما تحسه النفس ازاءها وانها لمعجزة الخالق أن يكون عالم النفس منبعاً خصباً ممتلئا لايفيض ولاتحدده الالفاظ.

تقديم المفعول :

وحين يذكر المفعول فى الاسلوب يوجه نحوه الفعل بفاعله، وكأنهما ذكراً من أجله وأول أغراض التقديم:

توجيه الفكر والخيال الى مظاهر الطبيعة مصدر الخير للبشر وكيف سواها الله بقدرته بعثا للعبرة والخشية والشكر قال تعالى: «والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى - والأرض فرشناها فنعم الماهدون - والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها - والسماء رفعها - والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون - والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» ، «والانعام خلقها » - ويلاحظ المفعول منصوباً[1] بفعل محذورف يفسره مابعده وحذف الفعل مع تكرار الاسناد والجملة يجعلنا نقدره مؤخراً - وان كان شيئاً وهميا- تحقيقاً ورسماً لهذه اللوحات الكبرى المفطورة التى سوتها يد القدوة من سماء متينة، وأرض مدحورة

ممدودة- وجبال شواهق ، وقمر فى رحله دائمة، وأنعام تروح بالخير توجيها للنظر واثاره للعبرة وتعميقاً للايمان.

وقد كثرت الأرض فى أساليب التقديم لانها الصق بالانسان ومنها وعليها يعيش أما تسويتها وخلقها وتقدير الارزاق فيها فمما ينبغى أن تشغل بها الفكر .

وقال تعالى فى رؤيا يوسف : «انى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين» قال الكشاف: أخرهما ليفضلهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرها من الطوالع»[1].

ونضيف أنه مع بيان الفضل تلحظ التعجب والاستغراب ولذا كرر الفعل «رأيت» وجمعها جمع العاقل لما فعلت فعله «ساجدين» وأدخل كل الكواكب فى السجود فلا حاجة لذكر الحصر ولو اضافياً.

وقد يتقدم المفعول: دعاية ورعاية وتشريفاً وحثا على الاهتداء والتأسى فيبدأ به التعبير نصبا له واشهاراً لفضله: قال تعالى: «وقرآنا فرقناه لتقرآه على الناس على مكث» كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل - فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة، وكلا وعد الله الحسنى».

---

(١) الكشاف ٣/٣٠٢.

وقد نلمح التخصيص كقوله: «وربك فكبر، بل الله فاعبد ، بل إياه تدعون»[١].

وقد سبق - كما قد نحسن من التقديم شحن القلوب بمشاعر الحنان والرقة والتأثر قال تعالى: « أما اليتم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر» وكأن فى هذا الخطاب لمحا الى يتم النبى وسؤاله الحائر عن الحقيقة الهادئة ومع مايفيده التقديم لاننكر ما أناحه للفاصلة من تمكن وانما ننكر أن يكون من أجلها التقديم[٢].

وقد يكون التقديم برهانا على عطاء لاينفذ تكرما: «كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك» فى المهديين والضالين جميعاً فلا يكون التقتير عقاباً على الضال بل يزاد له استدراجاً.

كما يقدم المفعول اذا كان لفظ الفاعل ومدلوله مما تنقبض له النفس وتستوحش وتخاف فيكون الاقتصاد فى التأثير عليها رفقا بها وجلالاً فى الاداء ، وتعليماً لفن الصياغة والمفعول مع ذلك هدف الحدث وغايته والمهم تصوّره في هذه الحال الخاصة قال تعالى: أم

---

(١) المرجع ٤/٤٩٦ ، وجعله غيره للتناسب راجع البرهان ٣/٢٢٥ ، والاتقان ٣/١٧٤ ، والبحر ١/٤٧٥ والمثل السائر ١٨٠ ، من أسرار اللغة ١٣٣.

(٢) الكشاف ٤/١١٠.

كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت - كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية - من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب»«حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب أرجعون - ومثل الموت لفظ الضر قال تعالى- وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه- واذا مس الناس ضردعوا ربهم - واذا مس الانسان ضر دعا ربه»«فاذا مس الانسان ضر دعانا».

«إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله- فإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه» وهذه مقامات هادئة رقيقة مؤثرة.

بينما نجد المفعول قدم على الفعل ذاته فى مقام الأخذ والانتقام للتسبب فيه قال تعالى: «فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً» ومنهم من أخذته الصيحة. ومنهم من أغرقنا، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون».

وقد يشعر المقدم بخصوص السبب«وأخذ الذين ظلموا الصيحة». «ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم».

وقد يكون الحدث فعلاً بشرياً عنيفاً كالقتل والأسر والتكذيب فيقدم المفعول تصويراً، قد يكون فيه انكار شديد كتأنيب بنى إسرائيل على قتلهم الانبياء وتكذيبهم.

«فريقا كذبوا وفريقا يقتلون- فريقاً كذبتهم وفريقاً تقتلون» وفى النصين صور القتل حاضراً ماثلاً تبشيعاً وتجريعاً وانظر التلاؤم المعجز القاهر فان فريقاً منصوباً مكرراً مفعولاً لفعل بشرى لم يأت الا فى شأن اليهود مرتين فى قتلهم وتكذيبهم الانبياء ومرة ثالثة وقد سلط الله عليهم المؤمنين فى غزوة بنى قريظة وكأنه انتقام لان الأحقاد واحدة لم نزدهم الازمان الا عتوا قال تعالى: «وأنزل الذين كفروا من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً» والنسق عجيب صور القتل والأسر حاضرين اكتنفهما لفظ «فريقاً».

وسر ذلك ما لخصه الدكتور محمد أبو موسى من أن التقديم مع معنى اللفظ وهو الفرقة أنهم طوع لايدى الفاعلين ، ولأن المقتولين هم الرجال مصدر الاذى وقتلهم نهاية أذاهم فكان ذكرهم أهم فقدموا ، ونقل عن الألوسى أن سر التقديم أن القتل وقع على الرجال وكانوا مشهورين وكان الاعتناء بما لهم أهم، ولم يكن فى المأسورين هذا الاعتناء ، بل الاعتناء هناك بالأسر أشد كما نقل عن البقاعى أن التعبير بلفظ فريق وتقديمه للدلالة على أنهم طوع لأيدى الفاعلين وتوزعهم بين القتل والأسر ففى جانب القتل فريق وفى جانب الأسر فريق مع تجاور القتل والأسر وهما يشفيان غليل المؤمنين كما أن المفعول به فيه معنى الضعف والاستسلام لكثرة وقوع الفعل عليه[1]

---

(١) بتصرف من : كتاب: من أسرار التعبير القرآنى د. أبو موسى ١٤٥ ومابعدها.

وهو كـــلام طيب، وإن كنا نظن أن فكره الاعـــتناء بالمال عند الألوسى داحضة، ذلك أن بنى قريظة تحالفوا مع الأحزاب لاستئصال شـأفـــة الاســلام ولولا لطف الله لدمـــروها تدمـــيـراً فكان القـتل أولا لرجـالهم ومـقـاتلهم جزاء وفـاقـا على غـدرهم الآسن وكـان ذلم أهم، والتقديم يصور رغبة جارفة ، وحركة قاصدة وانتقاماً وافق محله: ولم يكن فى كل هذا التوتر، انما قانون الحرب والمفعول هنا مباح مبتذل ولذا أخر فـجاء الاسلوب طبـاق الواقع فى ساحة بنى قـريظة، أما أن المفعول به فيـه معنى الضعف والاستسلام لكثرة وقوع الفعل عليه فليس على اطلاقه ذلك أنه كثيرا مايكون هو الله العظيم أو ملائكته وأنبياؤه وكتبه.

المهم أن العبارة فى أربع كلمات ترسم معركة كاملة فيها الدمار والأسر والقهر والتسلط العزيز تكاد نراها ونلمح وقعها قتلاً وأسرا واضطراباً ايحاء بعزة الاسلام ومحق اعدائه ومنا من الله بالتمكين والإقدار.

ومن هذا المعنى : ومغانم كثيرة يأخذونها.

وفى جانب المجازاة نجد من لمحات الآخرة مايصور الهول الأكبر.

قال تعالى: «خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلوه، ثم فى سلسله ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه»: والعنف والشده واضحة فى ايقاع الألفاظ إهانة واذلالا لمن أوتى كتابه بشماله وقدم الجحيم تلاؤما مع جو الرعب والتهديد ثم قدم وسيلة واحدة من وسائل التعذيب تهويلاً واستعظاما ثم ملاءمة مع جو النتدب والعويل من أهل الشمال:

«ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابية ياليتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماليه» : وكأن هذا المال كان سلسلة فى الدنيا قيدته عن الايمان وعمل الخيرات.

والمقام المخيف يرشح التخصيص الذى يراه الزمخشرى[١] .

وهذا الجو المرعب تتأجج به الآية : تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون» واللفح : السفع ، وقدم الوجه وهو أشرف ما فى الانسان مرآة روحه وسمه شخصه يفدى بكل غال تصويراً للذل الراهق، والألم النابح والعذاب المهول والمهانة المزلزلة وقد جاء الوجه فى معرض العذاب نفيا واثباتا لهذه المعانى قال تعالى:

« لو يعلم الذين كفروا حين لايكفون عن وجههم النار- «أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب- ولذا كان من تكريم المؤمنين رفع هذا العذاب الغريب عنهم- جعلنا الله منهم «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، ولايرهق وجوههم قتر ولادلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون».

---

(١) الكشاف ٤/٤٨٤.

تقديم بعض معمولات الفعل على بعض

يقصد بمعمولات الفعل ماعمل فيه الفعل من فاعل ، ومفعول وزمان ومكان وحال وجار ومجرور.

فقد يتقدم بعض ذلك على بعض، وليس للبلاغيين المتأخرين تفصيل أو تحليل شاف وخلاصة القول ماذكره بهاء الدين السبكى من أن تقديم بعض المعمولات على بعض يكون لاحد أمور.

أما لأن ذلك التقديم هو الأصل، ولامقتض للعدول عنه، كالفاعل فان أصله التقديم على سائر معمولات الفعل، لكونه عمدة، وكذلك المفعول الأول فى باب أعطيت زيداً درهما (وهذا بحث نحوى) واما أن يعدل عن الأسل (أى الأصل اللغوى فى نسق الجملة) فيقدم المفعول على الفاعل.

ومثل الخطيب فى الايضاح لذلك بقوله تعالى: «ولاتقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم»[1].

وقوله تعالى «ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم واياكم»[2] فالخطاب فى الأولى للفقراء بدليل قوله تعالى: من «املاق» فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم».

---

(١) الانعام : ١٥١.

(٢) الاسراء : ٣١.

والخطاب فى الثانية للأغنياء، بدليل قوله «خشية املاق» فان الخشية انما تكون مما لم يقع، فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم لانه حاصل، فقد الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم.

وأما لأن فى التأخير اخلالا بالمعنى : كقوله تعالى.. «وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه»(١).

فانه لو أخر «من آل فرعون» عن «يكتم ايمانه» لتوهم أن (الجار والمجرور) من آل فرعون متعلق بالفعل «يكتم» فلم يفهم أن الرجل المؤمن فرد من آل فرعون.

وقد يقدم وان كان أصله التأخير رعاية لتناسب الفواصل نحو قوله تعالى: «فأوجس فى نفسه خيفة موسى»(٢).

والقزوينى ومدرسته تتبع ابن الأثير فى هذا الشاهد الأخير وقد أسلفنا أن أصل التعبير «فأوجس موسى خيفة فى نفسه» وانما قدم ماقدم مراعاة للمقام فى تصوير الخوف الجارف الذى سيطر علي نفس موسى عليه السلام من سحر السحرة بالاضافة الى تناسب الفواصل والاعجاز فى ترتيب الحروف والاصوات والحركات والسكنات تلاؤما معجزاً يهز النفوس ويؤثر فى القلوب(٣):

---

(١) غافر : ٢٣.

(٢) طه : ٦٦.

(٣) راجع فى ذلك الايضاح٢/١٦٦ وشروخ التلخيص٢/ ١٦٠، والبرهان للزركشى٣٣٤١٣ والطراز٢٦٧١ وخصائص التراكيب: ٣٦٨.

وعلى هذا فتقديم بعض المعمولات على بعض انما تحكمه الاعتبارات البلاغية ، والمقامات المتباينة (ومراقبة المعانى ومتابعة الأحوال).

علماء التفسير البلاغى والاعجاز والمتشابه:

حظيت البلاغية القرآنية، بالعناية الفائقة من علماء التفسير البلاغى أى التفسير القرآنى الذى غلب عليه الاهتمام بالاسرار البلاغية لآيات الذكر الحكيم، وعلى قمتهم الامام جار الله الزمخشرى وتبعه كثير من الائمة النابغين كالامام الرازى فى تفسيره «مفاتيح الغيب» والامام أبى السعود والنسفى ومن الواضح تأثر ابن الأثير والعلوى والقزوينى من علماء البلاغة بهم، ونقلهم هذا القليل عنهم، وهناك علماء الاعجاز البلاغى الذين الفوا كتبا أو بحوثا تناولت قضايا بلاغية قرآنية كالامام السهيلى فى نتائج الفكر والروض الأنف والامام الزركشى فى كتابه العظيم البرهان فى علوم القرآن.

والامام السيوطى فى كتابيه «الاتقان فى علوم القرآن، ومعترك الأقران فى اعجاز القرآن. ومن تبعهم من العلماء.

وهناك علماء المتشابه القرآنى بمعنى المتشاكل والمتناظر مما اختلف فيه النظم فى سياقات متشابهة وأشهرهم الخطيب الاسكافى فى كتابه درة التنزيل وغرة التأويل وتاج القراء الكرمانى فى كتابه أسرار التكرار وأبو جعفر بن الزبير فى كتابه الفذ ملاك التأويل فى

جزءين مع اهتمام عديد من كبار المفسرين بهذا الشأن كالرازى والبقاعى.

واذن فموضوع التقديم بعامة وتقديم بعض المعمولات على بعض بخاصه يحتاج بحوثا ضافية تسع مجلدات.

ونقدم بعض الشذرات والشواهد حول قضيتين:

أولاً: الترتيب بين الالفاظ فى الجمل، وبين الجمل فى الكلام تخضع لموازين دقيقة ، وأسباب قوية ودواع عقلية ونفسية وبلاغية ، نختلف باختلاف الانسقة والمقامات.

ومن هذه الأسباب:

أولاً شدة الاهتمام به ذلك أن من عادة العرب الفصحاء أن يبدأوا بالأهم والأولى ، قال سيبويه ..

«كأنهم يقدمون الذى شأنه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى» قال الله تعالى: «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة»[1] فبدأ بالصلاة لأنها أهم.

وقال سبحانه «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول» لأن الله منزل التشريع والرسول صلى الله عليه وسلم مبلغه ومبينه ومنفذه.

---

(١) البقرة : ٤٣.

ثانياً: السبق بالزمان والايجاد كقوله تعالى: «ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين[١] » وفيه مع السبق الزمنى تشريف وتكريم ، وقوله تعالى « ومن نوح وابراهيم وموسى « وعيسى [٢] وقوله «صحف ابراهيم وموسى[٣] » « وأما قوله : «أم لم ينبأ بما فى صحف موسى ، وإبراهيم الذى وفى[٤] » قال الامام الرازى م ٦٠٦هـ ذكر هناك أى قدم ابراهيم على موسى فى سورة الأعلى على ترتيب الوجود إذ صحف ابراهيم قبل صحف موسى فى الانزال، أما فى صورة النجم فالكلام مع أهل الكتاب وهم اليهود ، فقدم كتابهم.

وان قلنا الخطاب عام يشمل اليهود وغيرهم فصحف مرسى عليه السلام كانت كثيرة الوجود ، أما صحف ابراهيم فكانت بعيدة وكانت المواعظ التى فيها غير مشهورة فأخرها[٥].

ولخص الزركشى ٧٩٤هـ ذلك وأضاف فقال «قدم ذكر موسى لوجهين أحدهما ، إنه فى سياق الاحتجاج عليهم بالترك وكانت صحف

---

(١) آل عمران : ٣٣.

(٢) الاحزاب : ٧.

(٣) الأعلى : ١٩.

(٤) النجم ٣٦- ٣٧.

(٥) الرازى ٣١/٢٩.

موسى أكثر انتشارا من صحف ابراهيم ، وثانيهما مراعاة رؤس الآى »[١].

وتحليل الرازى أوفى وأدق ، ومن التقدم بالايجاد تقديم السنة على النوم فى قوله «لاتأخذه سنه ولانوم»[٢] «لأن العادة فى البشر أن تتقدم السنه على النوم وقد ورد ذلك فى معرض الثناء على الله تعالى ونفى السنة أبلغ فى التنويه ، لأن اذا استحالت عليه سبحانه: السنة ، فأحرى أن يستحيل عليه النوم[٣].

ذكر السهيلى ، ونقل الزركشى قال الرازى تقدير الآية «لاتأخذه سنه فضلا عن أن يأخذ النوم»[٤].

وقال الامام محمد عبده فى تفسير المنار «ان ماذكر فى النظم الكريم ترق فى نفى النقص من نفى الأضعف الى نفى الأقوى»[٥].

ثالثاً: التقديم بالطبع والذات كقوله تعالى: «مثنى وثلاث ورباع»[٦] ونحوه » مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة

---

(١) البرهان ٢٣٩/١٣.

(٢) البقرة /٢٥٥.

(٣) راجع السهيلى فى نتائج الفكر ٢٦٦ - ٢٧٥ والبرهان ٢٤٠/١٣ والبرهان ٢٠٩/٢٩.

(٤) تفسير الرازى ٨/٧.

(٥) تفسير المنار : ٢٦/٢.

(٦) النساء : ٣.

الا هو سادسهم[١] « وكذلك جميع الاعداد مرتبة متقدمة على ما فوقها بالطبع والذات، أما قوله تعالى «انما اعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا »[٢] فوجه تقديم الاثنين : أن المعنى حثهم على القيام بالنصيحة لله، وترك الهوى: مجتمعين متساويين «اثنين اثنين أو فى حالة تفرد وتفكر ، ولاشك أن الأهم حالة الاجتماع فبدأ بها[٣].

رابعاً: التقدم بالعلة والسبب :

ومنه قوله «اياك تعبد واياك نستعين»[٤]قدمت العبادة لأنها سبب حصول الاعانة.

وقوله « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين[٥] » فان التوبة سبب الطهار ، وكذا «ويل لكل أفاك أثيم»[٦] لأن الأفك سبب الاثم.

---

(١) المجادلة : ٧.

(٢) سبأ : ٤٦.

(٣) البرهان ٢٤٦/١٣.

(٤) الفاتحة : ٥.

(٥) البقرة : ٢٢٢.

(٦) الجاثية : ٧.

وقال الزمخشرى فى قوله تعالى «مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم»[١] قدم الشكر على الإيمان ، لأن العاقل يشكر شكراً مهما على النعم العظيمة فى خلقه وتعرضه للمتافع ، فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكراً متصلاً ، فكان الشكر متقدماً على الايمان وكأنه أصل التكليف ومداره ، وجعله غيره من عطف الخاص على العام لأن الايمان من الشكر ، وخص بالذكر لشرفه[٢].

خامساً: التقدم بالرتبة كقوله تعالى: «هماز مشاء بنميم»[٣] فان الهماز هو المغتاب وهو لايحتاج الى الحركة، ولايفتقر الى جهد بخلاف النمام، ومنه قوله تعالى «وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر»[٤] فان الغالب: أن الذين يأتون رجالا مشاة من مكان قريب، والذين يركبون الابل الضوامر من بعيد، ويحتمل وهو رأى الرازى أن الله تعالى بدأ بذكر المشاة تشريفاً لهم لأن الأجر فى المشى مضاعف[٥].

---

(١) النساء : ١٤٧.

(٢) الكشاف ٤٥١/١ والبرهان ٢٣٨/٣.

(٣) القلم : ١١.

(٤) الحج : ٢٧.

(٥) راجع السهيلى فى النتائج ٢٦٦ وتفسير الرازى ١٨١٢٣ والبرهان ٢٤٩١٣.

سادساً: التقدم لشرف والفضل وهو أنواع وضروب يتناول المعانى والمحسوسات.

منها شرف الرسالة كقوله «وكان رسولاً نبياً»(١) وشرف الحرية «الحر بالحر والعبد بالعبد»(٢).

وشرف العقل «يسبح له من فى السموات والأرض والطير صافات»(٣).

وشرف الايمان كقوله تعالى:« وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا »(٤).

وشرف الحياة : ومايستوى الأحياء ولا الأموات»(٥) أما تقديم الموت فى قوله «الذى خلق الموت والحياة»(٥).

فمن تقدم السبق بالوجود ...

ومنها الشرف بالفضيلة كقوله «ومنك ومن نوح»(٦).

---

(١) مريم : ٥٤.

(٢) البقرة : ١٧٨.

(٣) النور : ٤١.

(٤) الاعراف : ٨٧.

(٥) فاطر : ٢٢.

(٥) الملك : ٢.

(٦) الاحزاب : ٧.

وكتقديم الانس على الجن كقوله عن الحور «لم يطمثن انس قبلهم ولاجان» والجان لايتناول الملائكة ، فالتقديم هنا للشرف والفضل تناسباً مع تكريم المنعمين» (١).

أما تقديم الجن فى نحو قوله : يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا » وقوله «وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير» لأنه مقام قوة وجرأة والجن بذلك أحق (٢).

واذا كانت الاسباب التى توجب التقديم عند السيهلى وعنه نقل الرازى والزملكانى والعلوى خمسة فقد تناست عند العلامة الزركشى الى خمسة وعشرين سبباً ، مقتضيا للتقديم والترتيب جمعها من الرازى وغيره من كبار المفسرين ومما أضافه من جهده رحمهم الله جميعاً.

وهذه الأسباب منها مايرجع الى العقل كالتقديم بالسبق الزمنى والذات والعلة أو العادة واللفظ كرعاية الفاصلة أو الخفة على اللسان، ولابد أن يكون معه سر بلاغى.

---

(١) الاحزاب : ٧.

(٢) الرازى ٢٩ /١١٢ والبرهان ٢٥٨١٣ وخصائص التراكيب ٣٧٠ وأسرار الفصل والتوصل د. صبّاح دراز ٣٠-٣١.

ومعظم الأسباب راجع الي نواح بلاغية فنية ، وأسرار عالية . كالتعظيم والشرف، والحث والتعجب من شأنه ودلالته على القدرة المقتدرة الى غير ذلك مما بسطه العلماء وكشفوا النقاب عن أسراره العالية ومازال كثير من أسرار الكتاب العزيز مكنوناً فى حاجة الى الدأب ، والمثابرة والعكوف فى محرابه المقدس بحثاً وعلماً ونقاء وصبراً.

القضية الثانية :

أن يأتى فى القرآن الكريم أساليب متشابهة المعانى ، فى صور شتى وفواصل مختلفة ، وأغراض لاتحد وقد تقدمت فيها كلمة وتأخرت فى آية مشابهة كقوله تعالى: «الحمد لله رب العالمين» (١) وقوله فى الجاثية «فلله الحمد» (٢) ومنه فى سورة البقرة «واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئاً ، ولايقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل» (٣) وقال بعد «ولايقبل منها عدل ولاتنفعها شفاعة» (٤) والمتشابه أعم من التقديم والتأخير وهو جليل خطير بل يشمل ما اختلف بالتعريف والتنكير ، الجمع والافراد ، والزيادة والنقصان والابدال فى الحروف والكلمات والادغام بل قد يكون النظم على وضع

---

(١) الفاتحة :

(٢) الجاثية : ٣٦.

(٣) البقرة : ٨٤ .

(٤) البقرة : ١٢٣.

أو النظم الآخر مخالف وفى القرآن منه كثير كقوله تعالى: فى سورة البقرة «وادخلوا الباب سجداً وقوله حطه» [١] وفى الأعراف «وقولوا حطه وادخلوا الباب سجداً» [٢] وقد بلغ مجموع ماتناوله ابن الزبير الغرناطى فى كتابه ملاك التأويل « وهو أوفى الكتب فى بابه : سبعا وثلاثين وثلاثمائة آية [٣]: ولم يدع أحد انه استوفى ما فى القرآن فدون ذلك خرط القتاء.

والمتفق عليه أنه ماتقدم لفظ فى آية وتأخر فى آية أخرى الا لحكمه إلهيه ، وأسرار عاليه ، ودواع بلاغية قوية» ولسبب تقتضيه ، وداع من المعنى يطلبه ويستدعيه» [٤].

كما ذكر الامام ابن الزبير فى مقدمه كتابه ، وهذا دال على الدقة المعجزة ، والملاءمة الخارقة ومراعاة الكيفيات والاعتبارات والمقامات والأحوال والسياقات وهذا هو مقطع الحق فى مسألة الاعجاز القرآنى» [٥].

---

(١) البقرة : ٥٨.

(٢) الاعراف : ٦١ .

(٣) مقدمه ملاك التأويل للمحقق ص١٣٦.

(٤) ملاك التأويل ص ١٤٥.

(٥) مقدمه اسرار التكرار للكرمانى للمحقق ص ١٠.

ونكتفى بتقديم بعض النماذج من النظم القرآنى المتشابه فيه تقديم وتأخير ومحاولات العلماء لاستكناه اسرارها ، واكتشاف بلاغتها.

١- جاء فى فاتحة الكتاب «الحمد لله رب العالمين» ومثلها سور أربع : الأنعام[١] والكهف[٢] وسبأ[٣] ، وفاطر[٤] .

كما جاء فى خواتم آيات من سور عدة: فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين»[٥] ومثلها فى سورة يونس[٦]، والزمر[٧] ، والصافات[٨].

والآيات الاتى قدم فيها الحمد: جاءت على الأصل من تقديم الحمد والثناء لله تعالى تعليما وحثا على سرعة الاعتراف والتمجيد والحمد لله تعالى بما هو أهله، كما توافقت مع نظام الجملة من تقديم المبتدأ على الخبر ، وهو الاصل ، أما فى سورة الجاثية «فلله الحمد»

---

(١) آية ٩.

(٢) اية ١١.

(٣) آية .

(٤) آية : ١.

(٥) الانعام آية : ٤٥.

(٦) آية : ١٠.

(٧) آية : ٧٥.

(٨) آية ١٨٢.

فعلى تقدير الجواب، بعد ارغام المكذب وقهره، ووقوع الأمر يوم الحساب مطابقا لأخبار الرسل ، وظهور كذب الجاحد به كأنه قيل يومئذ » لمن الحمد ومن أهله؟ وقبل هذه الآية « وبدالهم سيئات ماعلموا »[١] ونظيره : « لمن الملك اليوم، لله الواحد القهار »[٢] ولما سبق الملك فى السؤال، لم يحتج الى تكراره فى الجواب[٣].

٢- قوله تعالى: فى سورة آل عمران قوله تعالى عن زكريا عليما لسلام « قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر »[٤] فذكر أول مانع من الانجاب بادئا بنفسه أو لا بذكر الكبر وهى جملة حالية أكدت استبعاد الانجاب ذاتياً ثم صعد هذا المعنى امرأته العاقر.

وأما فى سورة مريم : قال رب انى وهن العظم من واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقيا » فقدم مادل على أنه طاعن فى السن كبير لان من وهن عظمه وهو أساس الجسم وعموده بلغ نهاية الضعف ولما بشر قال» أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقر وقد بلغت من الكبر عتيا »[٥].

---

(١) الجاثيه : ٣٣.

(٢) غافر آية : ١٦.

(٣) راجع ملاك التأويل ١٥٢/١ . والبرهان للزركشى ٢٨٤١٣.

(٤) آل عمران : ٤٠.

(٥) مريم : آية ٨.

فالدلالة على الكبر مقدمة فى الآيتين (وقد بلغنى الكبر - وهن العظم منى » على عقم امرأته لكن فى سورة مريم أكد الكبر بقوله «وقد بلغت من الكبر عتيا » ليكون عقم امرأته وسط دائرة طعنه فى السن وتهالك قواه مما بعد معه الانجاب امراً مثيراً يضاف الى ذلك أمر لفظى تبعاً وهو تناسب الفواصل فى سورة مريم[١] وهذا التحليل السابق أرجو أن يقرب من الصواب والله أعلم بمراده.

٣- قال تعالى: «يسألونك عن الأهله قل هى مواقيت للناس والحج (١٨٩/١) .

وجميع ماجاء فى القرآن من السؤال وقع عقبه الجواب بغير الفاء الا فى قوله (يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا) (١٠٥/٢٠ فانه أجيب بالفاء ولأن الاجوبة فى الجميع كانت بعد السؤال لاقبل وقوع السؤال كأنه قبل ان سئلت عن الجبال فقل: ينسفها ربى[٢].

٤- قوله فى البقرة: «يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء «٢٨٤» يغفر «مقدم فى هذه السورة وغيرها سبقاً للرحمة الالهية على العقاب وترغيباً في موجبات المغفرة الا فى

---

(١) هذا ما اقتصر عليه الكرمانى ص٤٧ وابن الزبير الفرناطى /١

(٢) أسرار التكرار ٤١.

المائدة «بعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء» ٤٠ لأنها نزلت بعدها فى حق السارق والسارقة عذابها بالقطع واقع فى الدنيا مراعاه دقيقة للمعانى اعجازاً قرآنياً.

٥- قوله تعالى: «وقاتلوهم حتى لاتكون فتنه ويكون الدين لله ١٩٣/١ وفى الانفال (ويكون الدين كله لله) لان القتال فى البقرة مع أهل مكة، وفى الأنفال مع جميع الكفار فناسب التأكيد بلفظ (كله) (١).

٦- فى قوله تعالى: «فى سورة الانعام» وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو » ٣٢ قدم اللعب على اللهو فى هذه السوره فى موضعين وكذلك فى سورة (محمد) ٣٦ ، والحديد) ٢٠.

وقدم اللهو علي اللعب فى قوله «الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا » ٥١ فى الأعراف وكذا فى العنكبوت (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب) ٦٤ وإنما قدم اللعب فى الأكثر لأن اللعب زمانه الصبا ، واللهو زمانه الشباب والصبا مقدم على الشباب يبينه ماذكره العلماء فى سورة الحديد (اعلموا) انما الحياة الدنيا لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الشبان وزينة» كزينة النساء (وتفاخر) كتفاخر الاخوان (وتكاثر) كتكاثر السلطان وقريب منه تقديم اللعب على

---

(١) أسرار التكرار ٤١.

اللهو فى السورة ٣٢: ١٧-١٨ (ومابينهما لاعبين، لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا وقدم اللهو فى «الأعراف» لأن ذلك فى القيامة فذكر على ترتيب ما انقضى وبدأ بما انتهى به الانسان فذكر على ترتيب ما انقضى وبدأ بما انتهى به الانسان وهو اللهو ثم اللعب ترتيبا عكسياً أما العنكبوت فى المراد بالحياة زمان الدنيا وانه سريع الانقضاء قليل البقاء وبدأ بذكر اللهو لانه فى زمان الشباب وهو أكثر من زمان اللعب فى الصبا فهو موازنة بين لهو الدنيا ولعبها واللهو أطول وكل زائل وبين بقاء الآخرة «وان الدار الآخرة لهى الحيوان » أى الحياة الخالدة الدائمة[١].

فى سورة الأعراف: (قل لا أملك لنفسى نفعاً ولاضراً الا ما شاء الله» ١٨٧ وفى يونس « قل لأملك لنفسى ضرا ولانفعاً إلا ماشاء الله» ٤٩ لأن أكثر ماجاء فى القرآن من لفظى الضر والنفع معا جاء بتقديم لفظ الضر على النفع لأن العابد يعبد خوفاً من العقاب ثم طمعاً فى الثواب كقوله (يدعون ربهم خوفاً وطمعاً) ٣٢/ ١٦ وقد خولف النسق فتقدم النفع فى عدة مواضع وذلك لسابقه لفظ تقدم نفعاً. وهى ثلاثة بلفظ الفعل وص فى الأنعام، (بنفعنا ولابضرنا) ٧١ ويونس.

(مالا ينفع ولايضر) ١٠٦ والانبياء (مالا ينفعكم شيئاً ولايضركم) ٦٦ والفرقان (مالا ينفعهم ولايضرهم) ٥٥ والشعراء (ينفعونكم أو يضرون) ٧٣.

---

(١) المرجع ٧٥ وبغية الايضاح ٢٣١/١.

وقـــد تقـــدم فى كل هذه المواطن مـــا يدل على هذا التـــرتيب. الاعراف: من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل» ١٧٨ فقدم الهداية على الضلال وبعد اية النفع والضر الآية (لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) فقدم الخير تلاؤما رائعا.

وفى الوعد (طوعا وكرها) ١٥ فقدم الطوع . وفى سبأ (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ٣٦ فقدم البسط.

وفى الانعـام تقـدم (ليس لهـا من دون الله ولى ولاشـفـيع وان تعدل كل عـدل لايؤخذ منهـا) ٧٠ وفى يونس تقدم (ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كـذلك حـقـا علينا ننجى المؤمنين) ١٠٣ وفى الفـرقـان تقدم (ألم تر الى ربك كيف مد الظل) ثم عدد آيات ونعما ٤٥ ، ٤٦ ثم تبع كل تلك الآيات بذكر النفع ثم الضر تناسقاً وتلاؤما أما فى يونس ونظائرها فقد الضر لأنه الاصل ولموافقة ماقبلها (مالا يضرهم ولاينفعهم ١٨ ومنها (وإذا مس الانسان الضر) ١٢ وكل ذلك برهان القرآن الاعجازى[1] .

وقد اكتفينا بهذه الاشارة من مواضع القرآن التى تعالج مافيه من اختلاف فى النسف والنظر أو تكرار ذلك لنفتح نافذة بلاغية علي الاعجاز القرآنى ليكون مناط الدرس الجامعى».

---

(١) المرجع ٩٢ - ٩٣.